المستدرك على شعر خُفَافِ بنِ نَدْبةَ السُّلَمِيِّ

د.أحمد سيد محمد عمار(*)

ملخص البحث:

غاية *هذا البحث، هو استدراك ما فات من شعر خُفاف بن نَدبة السُلميّ، وتسليط مزيد من الضوء على الشاعر وشعره، وإغناء بعض الجوانب في حياة خفاف مثل الملاحاة والمهاجاة التي نجمت عن صراعه مع العباس بن مرداس من اجل الزعامة على بني سُليم.*

تمهيد:

للشعر عند العرب -خاصة- أهمية بالغة، ومكانة سامقة؛ فهو ديوان العرب، وسجل مفاخرها، ومخلد آثارها؛ لهذا "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصُنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنع في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذبٌ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم"(1).

ومن هنا كان اهتمام الباحثين في التراث العربي بتحقيق دواوين الشعراء، أو لَمِّ شتات ما تبعثر من شعرهم -بعد أن عدت عليه الأيام؛ فضاع فيما ضاع من تراثنا الأدبي والعلمي -عملاً جاداً، ومحاولة هادفة لإحياء هذا التراث الذي ننتمي إليه، ونعتز به جميعاً أيما اعتزاز.

إن هذه المحاولات المخلصة تعد أساساً هاماً، وركيزة أساسية لفهم حياة أجدادنا والتعرف على القيم التي كانت تسود حياتهم بشكل أعمق؛ حيث سجل الشعراء في شعرهم أدق تفاصيل حياة مجتمعهم، ورصدوا كل ما كان يحكم هذا المجتمع من قيم ومثل.

ومع اجتهاد الباحثين في جمع شعر هؤلاء الذين لم يحالفهم الحظ في جمع أشعارهم في ديوان خاص بهم كغيرهم من الشعراء، أو أولئك الذين جمع شعرهم ثم عدت عليه يد الزمان، فإنه قد لا

---

* مدرس في جامعة الإمارات.

(1) العمدة: 65/1.

يصل إلى أيديهم كل ما تركه هؤلاء الشعراء من ميراث شعري لسبب ما، ثم يشاء الله أن تتوافر لباحث آخر الأسباب التي يتوصل من خلالها إلى استكمال هذا الشعر أو بعضه. وهكذا تتواصل الحلقات باحثاً بعد باحث يفيد اللاحق من السابق دون أن يجحد سبقه أو ينكر فضله.

جهود سابقة:

قد قام بجمع شعر خفاف بن ندبة السلمي، وتقديمه لقراء العربية، الباحث المدقق والعالم المحقق الدكتور نوري حمودي القيسي -رحمه الله- الذي أغنى المكتبة العربية بجمع وتحقيق العديد من شعر الشعراء، إضافة إلى دراساته العميقة في تراثنا الأدبي القديم[1]. ولما كان الكمال لله وحده؛ فقد فات الدكتور القيسي بعض من شعر خفاف، وشاء الله تعالى أن أكون المتمم لهذا العمل الكبير، وذلك بعد صحبة طويلة لخفاف؛ حيث إنه كان موضوع دراستي للماجستير، منذ خمس وعشرين سنة، وكان موضوع الرسالةَ "خُفاف بنُ نَدْبَةَ السُّلَمِيُّ: حياته وشعره"، ثم وجدت نفسي بعد انتهاء مرحلة الماجستير مندفعاً إلى جمع شعر خفاف من جديد، وبعد جهد جهيد عثرت لخفاف على جملة من شعره تبلغ واحداً وثلاثين بيتاً، جاءت في أربع مقطوعات وبيتين منفردَيْن. وأكثرها في مهاجاة العباس بن مرداس[2]، منافسه على زعامة بني سليم.

نبذة عن الشاعر:

هو خُفَاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي من مضر، أبو خراشة (... - نحو 20 هـ). من أغربة العرب، كان أسود اللون (أخذ السواد والنسب من أمه ندبة). لُقّب بالسلمي نسبة إلى سليم بن منصور، وهو ابن عم الخنساء شاعرة بني سليم المشهورة[3].

وهو أحد فرسان قيس وشعرائها المعدودين، فقد ذكر الأصمعي أن خفاف بن ندبة، وعنترة، والزِبرقان بن بدر، ودريد بن الصمة أشعر الفرسان[4]. وقال عنه الثعالبي: "كان شاعراً شجاعاً، وقَلّ ما اجتمع الشعر والشجاعة في واحد"[5].

وخفاف مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم وحسن إسلامه، وله مع النبي صلى الله عليه

---

(1) صدر الكتاب عن مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.

(2) شاعر مخضرم من شعراء بني سليم وأشرافهم، وأحد فرسان الجاهلية المذكورين، كان ينافس خفافاً على زعامة بني سليم، أسلم هو وقومه عام الفتح، وكان من المؤلفة قلوبهم، توفي في خلافة عثمان، رضي الله عنه. تنظر ترجمته في الإصابة 263/2، ومعجم الشعراء 263/262.

(3) ينظر الأغاني 74/18، والشعر والشعراء 348/1، والخزانة 15/4-16، 443/5-445، والأصمعيات /21، والإصابة 336/2، وطبقات ابن سعد 275/4، وتجريد أسماء الصحابة 161/1، والأعلام للزركلي 356/2.

(4) فحولة الشعراء/ 27.

(5) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ 159.

وسلم صحبة، وروى عنه حديثاً واحداً[1]. شهد فتح مكة وكان معه لواء بني سليم، وشهد حُنيناً والطائف، وثبت على إسلامه في الردة، وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

ومن المعالم البارزة في حياة خفاف الجاهلية مهاجاته العباس بن مرداس، منافسه على زعامة القبيلة؛ "لأنه أظهر فيها شخصيته، وصور صفاته، وأبرز الجوانب الحقيقية التي كانت تدور في نفسه"[3]. وتعد هذه المهاجاة من أولى النقائض في الشعر العربي، التي تؤصل لهذا الفن، وتضيف إليه رصيداً فنياً.

وفيما يأتي ما استطعت جمعه واستدراكه على شعر خفاف بن ندبة السلمي، مما لم يرد في مجموع شعره، الذي قام به الدكتور القيسي -رحمه الله- أضعها بين يدي محبي أدبنا العربي وقرائه، راجياً أن يحقق جهدي إضافة جديدة تسلط مزيداً من الضوء على الشاعر وشعره، وآملاً أن يكون قد اكتمل بها مجموع شعره، أو صار قريباً من التمام.

وأزعم أن هذه الاستدراكات ستُغني جانباً هاماً في حياة خفاف؛ وتضيء معلماً من معالمها، وهو تلك الملاحاة والمهاجاة التي نجمت عن الصراع الذي دار بينه وبين العباس بن مرداس، على زعامة بني سليم، كما أشرت آنفاً.

***

كان بين خفاف والعباس بن مِرداس تنافس على زعامة القبيلة، أدت إلى مشاحنات ومهاجاة بينهما، وكثيراً ما سعى أهل الفساد فأججوا الصراع بين شاعري سليم.

وفي هذه الأبيات يرد خفاف على العباس الذي اتهمه بالفساد والجبن[4]

1-لَعَمْرُ أبيكَ يا عباسُ إني ... لَمُنْقَطِعُ الرِّشاءِ من الأعادي[5]

2-وإني قد تُعاتِبُني سُلَيْمٌ ... على جَرِّ الذُّيول إلى الفسادِ

3-أُكُلَّ الدَّهرِ لا تَنْفَكُّ تَجري ... إلى الأمرِ المُفَارِقِ للسَّدادِ

4-إذا ما عايَنَتْكَ بنو سُلَيْمٍ ... تَبيتُ لهم بداهيةٍ نآدِ[6]

---

[1] انظر الاستيعاب: 2/450-451، وأسد الغابة 2/118-119.

[2] انظر خزانة الأدب: 5/443-45.

[3] شعر خفاف/9.

[4] التخريج: الأغاني (لجنة نشر الأغاني): 18/83، والبيتان: الخامس والثامن في شعر خفاف/ 74. وينظر تخريجهما هناك.

[5] الرشاء: رسن الدلو، وهو الحبل. والمراد: أنه لا يعادي أحداً، ومن ثم لا يوجد له أعداء.

[6] نآد: كسحاب وتُادَى كحبالى: الداهية، والمراد: الداهية الشديدة.

5-فَـزَنْدُكَ فـي سُـلَيْمٍ شـرُّ زَنْـدٍ وزادُكَ فـي المعاشِـرِ شـرُّ زاد[1]

6-ألا للهِ دَرُّكَ مِـنْ رئـيسٍ إذا عادَيْـتَ فانْظُـرْ مَـنْ تُعـادي

7-جَرِيـتُ مُـبَرِّزاً وجريـتَ تكـبو علـى تعـبٍ فهـل لـك مـن مَعـاد؟

8-ولـم تَقْـتُلْ أسـيرَكَ مِـنْ زُبَـيْدٍ بخالـي بـل غَـدَرْتَ بمُسـتَقادِ[2]

كـان خفـاف قد كف عن العباس، حتى أتاه غلام من قومه، فقال: أبى العباس إلا جرأة عليك، وعيباً لك؛ فغضب خفاف ثم قال في ذلك:[3]

1-لـن يَـتْرُكَ الدهـرَ عباسٌ تَقَحُّمَهُ حـتى يـذوقَ وبـالَ البَغْـيِ عـباسُ[4]

2-أمسـكتُ عـن رَمْيِهِ حَوْلاً ومَقْتَلُهُ بـادٍ لِتَعْذُرَنـي فـي حَـرْبِهِ النـّاسُ

3-عَمْـداً أجُـرُّ لَـهُ ثَوْبِـي لأخْدَعَهُ عـن رَأْيِـهِ ورَجائـي عـنده يـاسُ

4-فـالآن إذْ صـرَّحَتْ مـنه حَقِيقَتُهُ ظُلْمـاً فلـيس بِشَـتْمِي شـاتمي باسُ[5]

5-أجُـدُّ يومـاً بقولـي كُـلَّ مُبتدِئٍ كمـا يَجُـدُّ بِكَـفِّ الجـازِرِ الفـاسُ[6]

6-تَـأبَى سُـلَيْمٌ إذا عَـدَّتْ مَساعِيَها أنْ يُحْـرِزَ السَّـبْقَ عـباسٌ ومِـرداسُ

7-أوْدَى أبـو عامـرٍ عباسُ مُعتَرِفاً أنّـا إذا مـا سُـلَيْمٌ حصَّـلَتْ راسُ[7]

وقال خفاف مجيباً العباس[8]:

---

(1) البيت في شعر خفاف: ..... وزادك في سليم.....

الزند: موصل طرف الذراع في الكف، والعود الأعلى الذي يُقْدَح به النار، جمع: زناد وأزناد.

(2) زبيد: اسم قبيلة. المستقاد: أقاد القاتلَ بالقتيل: قتله به قَوَداً. والمراد به: الزبيدي قاتل خال خفاف الذي قتله العباس.

فكأن الزبيدي قتل خال خفاف قوداً، وبذلك يكون قتل العباس له غدراً، لا ثأراً.

والبيت رد على مزاعم العباس بأنه قتل الزبيدي؛ ثأراً لمقتل خال خفاف بعد أن عجز خفاف عن الأخذ بثأره.

(3) التخريج: الأغاني (لجنة نشر الأغاني): 83/18.

(4) اقتحم الأمر وتَقَحَّمَهُ: دخل فيه بغير روِيَّة.

(5) في الأصل (إذا) ولا يستقيم بها الوزن.

(6) أجُدُّ: أقطع، يقال: جدّ الشيء جَدًّا وجداداً: قطعه، فهو مجدود وجديد. الجازر: الناحر أو الجزار.

(7) حصلت: ميزت، يقال: حصَّل الشيء والأمر: خلّصه وميزه من غيره.

(8) التخريج: الأغاني (لجنة نشر الأغاني): 83/18.

1-عَجِبتْ أُمامةُ إذْ رأتني شاحباً ... خَلَقَ القميصِ وأنَّ رَأسِيَ أصلعُ

2-وتنفستْ صُعُداً فقلت لها اقصري ... إني امروٌ فيما أضرُّ وأنفعُ

3-مهلاً أبا أنسٍ فإني للذي ... خَلَّى عليك دُهَيَّةٌ لا تُرْقَعُ(1)

4-وضربتُ أمَّ شؤون رأسك ضربةً ... فاستكَّ منها في اللقاء المَسْمَعُ

5-نَعْلَيَّ حَذْوُ نعالها ولربَّما ... أحذو العِدا ولكلِّ عادٍ مَصْرَعُ

6-لا تَفْخَرَنَّ فإن عودِيَ نَبْعَةٌ ... أعْيَتْ أبا كَرِبٍ وعودُكَ خَرْوَعُ(2)

7-ولقد أقودُ إلى العدوِّ مُقَلِّصاً ... سَلِسَ القيادِ له تَلِيلٌ أتْلَعُ(3)

8-نَهْدَ المراكلِ والدَّسيعُ يَزِينُهُ ... شَنِجُ النَّسا وأباجِلٌ لا تُقْطَعُ(4)

9-وعَلَيَّ سابِغةٌ كأنَّ قَتِيرَها ... حَدَقُ الجنادبِ ليس فيها مَطْمَعُ(5)

10-زَغَفٌ مُضاعفةٌ تَخَيَّرَ سَرْدَها ... ذو فائشٍ وبنو المُرارِ وتُبَّعُ(6)

11-في فتيةٍ بيضِ الوجوه كأنهم ... أُسْدٌ على لَحْمٍ ببيشةَ طُلَّعُ(7)

12-لا ينكلون إذا لقوا أعداءهم ... إن الحِمامَ هو الطريق المَهْيَعُ(8)

---

(1) أبو أنس: هو: العباس بن مرداس. ودُهَيَّة: تصغير داهية، وهي المصيبة.

(2) عودي نبعة: صلب شديد. عودك خروع: لين منثن.

(3) المقلص: الفرس الطويل القوائم، المضمر البطن. تليل أتلع: عنق طويل.

(4) نهد المراكل: واسع الجوف. الدسيع: مغرز العنق في الكاهل. شنج النسا: شنج: تَقَبُّض، والنسا: العصب الوركي، يمتد من الورك إلى الكعب، والمعنى أن أعصاب وركه مشدودة، حتى لا تسترخي رجلاه. وهي من الصفات المحمودة في الفرس. الأباجل: جمع أبجل، وهو عرق في ذراع البعير والفرس، بمنزلة الوريد من الإنسان.

(5) سابغة: درع طويلة. القتير: رؤوس المسامير في الدرع. الحدق: جمع حلقة، وهي سواد العين الأعظم. الجنادب: جمع جندب، وهو الصغير من الجراد.

(6) الزغف: جمع زغفة، وهي الدرع الواسعة. سرد الدرع: نسجها فشك طرفي كل حلقتين وسمرهما. ذو فائش: رجل اسمه سلامة بن يزيد اليحصبي، سمي بذلك لأنه كان يحمي وادياً يسمى فائشاً؛ فأضيف إليه.

(7) بيشة: اسم واد من أودية تهامة.

(8) نكل عن الأمر نكولاً: جبن. الحِمام: قضاء الموت وقدره. الطريق المهيع: الواسع البيِّن، جمع مهايع.

قال خفاف في تعيير الربيع بن أبي الحُقَيْق بعرجه، وكان أعرج[1]:

1-فسوف ترى إن رَدَّتِ الأوْسُ حِلْفَها ... وزالتْ وأحسابُ الرجالِ تَزَيَّلُ[2]

2-ولاقَيْتَها شَهْباءَ تَخْطِرُ بالقَنا ... وسَعْيَةُ يُدْعَى وسطها والسَّمَوَّلُ[3]

3-وأبصرتَها وسطَ البيوتِ كأنها ... إذا بَرَقَتْ في عارض الصبحِ أعْبَلُ[4]

4-وغُودِرَ وسط القوم لما اصطففتمُ ... ثلاثةُ رَهْطٍ أعرجانِ وأخْوَلُ

وقال خفاف[5]:

وأشْهَدُ الغارةَ مسروحةً ... تغدو لماء النعم الوارِدِ[6]

نزلت جماعة على بني سليم بمعدن فران -وهو ماء لبني سليم منسوب إلى فران بن بَلِيٍّ بن عمرو- فدخلوا فيهم وصاروا منهم، فكان يقال لهم: بنو القين. وخاصم رجل منهم يقال له: عُقَيْل بن فُصَيْل بني سليم في معدن فاران، في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ فقال خفاف في ذلك[7]:

متى كان لِلْقَيْنَيْنِ: قَيْنِ طَمِيَّةٍ ... وقَيْنِ بَلِيٍّ مَعْدِنٌ بفران

---

(1) الربيع بن أبي الحقيق بالتصغير، عده ابن سلام في طبقة شعراء يهود، وذكر أبو الفرج في الأغاني أنه كان أحد الرؤساء في يوم بعاث، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه. وروى إجازة شعرية بينه وبين النابغة الذبياني في سوق بني قينقاع. التخريج: البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ/ 350.

(2) تزيل: تَتَزيل وتتحول.

(3) سعية: هو سعية بن الغريض بن عاديا، أخو السموءل بن غريض بن عاديا الذي يقال له: السموءل بن عاديا، ولا يدرجون "عريضاً" في النسب، وكلاهما شاعر يهودي. والسَّمَوَّل بالتخفيف: السموأل.

(4) الأعبل والعبلاء: حجارة بيض.

(5) التخريج: كتاب "الاختيارين" /506، والبيت هو الثالث ضمن قصيدة من تسعة أبيات، منها ثمانية أبيات في مجموع شعر خفاف /44، ينظر تخريجها هناك.

(6) الغارة: الخيل المغيرة.

(7) التخريج: معجم البلدان: (فَرَان)، والمفضليات (شرح ابن الأنباري): 117/1، ومعجم ما استعجم 28/1. والشطر الثاني في معجم ما استعجم: وقين بلي مَعدِنان بفاران.

■ المصادر والمراجع:

1-أسد الغابة: ابن الأثير، تعليق: محمد إبراهيم البنا وآخرين، طبعة دار الشعب، مصرن 1970.

2-الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ب.ت.

3-الإصابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ب.ت.

4-الأصمعيات: الأصمعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر.

5-الأغاني: الأصفهاني، إشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

6-البرصان والعرجان والعميان والحولان: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبع وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

7-تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ب.ت.

8-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1985م.

9-جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987 م.

10-خزانة الأدب للبغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1981م.

11-شعر خفاف بن ندبة السلمي، جمع وتحقيق: د.نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.

12-الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط3، 1977 م.

13-الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر، بيروت

14-العمدة: ابن رشيق، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5.

15-فحولة الشعراء: الأصمعي، تحقيق: د.محمد عبد المنعم خفاجي، ود.طه الزيني، المطبعة النبوية بالأزهر، مصر، 1952م.

16-القاموس المحيط: الفيروز آبادي، طبع مصطفى البابي الحلبي، 1952م.

17-كتاب الاختيارين: الأخفش الصغير، تحقيق: د.فخر الدين قباوة، طبع مجمع اللغة العربية، دمشق.

18-لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، مصر،

19-معجم البلدان: ياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

20-معجم الشعراء: المرزباني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1961.

21-معجم ما استعجم: البكري، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.

22-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

23-المفضليات: شرح ابن الأنباري.

24-المؤتلف والمختلف: الآمدي، تحقيق: د.ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت.

□□□